السياق الأخلاقي لصفقة القرن
قراءة وتقييم

محمود سمير الرنتيسي*

ملخص: يتناول هذا البحث خطة صفقة القرن التي أعلن عنها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، والتي تختلف عن رؤى الرؤساء السابقين، رغم انحيازهم جميعًا إلى الجانب الإسرائيلي. وقد تجاهلت خطة ترامب حقّ الفلسطينيين في القدس، وتعاملت مع حقوقهم في العودة إلى ديارهم وفي إقامة دولتهم على أنها صفقة تجارية، يمكن تجاوزها بعدد من الجزرات الاقتصادية. ويرى البحث الذي تناول عددًا من المواقف الدولية والإقليمية أن الخطة بدأ تنفيذها قبل الإعلان عنها، وقد ترافق معها انحدار أخلاقي كبير من الإدارة الأمريكية الحالية، والدول المؤيدة للصفقة. وفي القسم الأخير يطبق البحث 3 معايير طرحها البروفسور جوزيف ناي للياقة الأخلاقية للرؤساء الأمريكيين- على صفقة القرن، وهذه المعايير هي النوايا والدوافع، والوسائل، والعواقب.

*جامعة غازي، تركيا

Evaluating the Ethical Context of the Deal of the Century

MAHMOUD ALRANTISI*

ABSTRACT *This study deals with the plan of the deal of the century which announced by US President Donald Trump, which differs from the visions of the previous presidents, despite all of them being biased towards the Israeli side. It is overlooked by a number of economic carrots, and the study that dealt with a number of international and regional positions sees that the plan has started to be implemented before its announcement and a great moral decline has come with it from the current American administration and from the countries that support the deal. In the last section Study applied 3 standards put by Professor Joseph Nye about the moral fitness of politicians, on the deal of the century, these standards are the intentions and motives, means, and consequences.*

*PhD Student, social sciences institute - Gazi University, Turkey

رؤيـــة تركيـــة
2020-(2/9)
246- 233

DOI:10.36360/1560-009-002-013

أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في 28 يناير/ كانون الثاني 2019 بنود خطة ما عُرِف إعلاميًّا بصفقة القرن، أو على الأقل القسم السياسي من خطة إدارة ترامب للقضية الفلسطينية؛ لأنّ جاريد كوشنير صهر ترامب ومستشاره أعلن في وقت سابق القسم الاقتصادي في ورشة عمل في دولة البحرين قبل قرابة شهرين من إعلان ترامب القسم السياسي، وبهذا يكتمل الشقّان اللذان يشكلان أساس رؤية ترامب لحلّ القضية الفلسطينية.[1]

بدء تنفيذ الخطّة قبل الإعلان

وصف ترامب بنود الخطة التي أعلنها، وجاءت في مذكرة من 181 صفحة بأنها خطة "السلام من أجل الازدهار"، وأن الخطة رؤية لتحسين حياة الشعبين الفلسطيني و"الإسرائيلي". هذا هو الاسم الرسمي للخطة، أمّا في الإعلام فاشتهرت الخطة بين الكتّاب والمحلّلين باسم "صفقة القرن". وفي الحقيقة كان قسم كبير من هذه البنود بدأ تنفيذه فعليًّا، وينسجم هذا الفعل مع ما تحدّث به ترامب شخصيًّا، وهو أن سياسته أقرب إلى سياسة "افعل ثم ناقش التداعيات"، وهذا ما فعله من خلال نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، وقطع المساعدات عن السلطة الفلسطينية؛ بسبب عدم تجاوبها مع خطته الجاري تنفيذها، والاعتراف بيهودية "إسرائيل"،[2] وتشريع الاستيطان؛ منه أو من أقطاب إدارته، فضلًا عن ترتيبات الشقّ الاقتصادي.

ورغم أن الخطّة تعالج بنودًا تشمل مفهوم حلّ الدولتين، والقدس، والسيادة، واللاجئين، والأمن، والمعابر، وقضايا أخرى- إلا أن أبرز البنود التي أشار إليها ترامب هي أن القدس "ستبقى عاصمة غير مقسّمة لإسرائيل، أما عاصمة دولة فلسطين فتكون في الجزء الشرقي من المدينة، في المناطق الواقعة شرق الجدار الأمني القائم وشماله، بما في ذلك كفر عقب، والقسم الشرقي من شعفاط، وأبو ديس، ويمكن تسميتها القدس أو أي اسم آخر تحدّده الدولة الفلسطينية".[3] وتقوم (إسرائيل) في الأصل بشكل يومي بإجراءات التضييق على الفلسطينيين في القدس، وتعمل لدفعهم نحو الأحياء المذكورة.

وتشمل الصفقة أيضًا تقديم استثمارات تجارية بقيمة 50 مليار دولار إلى الدولة الفلسطينية، وهو ما حصل في ورشة المنامة في 25 يونيو 2019، (ويُرجَّح أن مصدرها الأساسي سيكون دولًا خليجية، كما يُرجَّح أن يكون المستفيد الأول منها هو "إسرائيل"). ولكن الأمر الأهم يتعلّق بالدولة الفلسطينية وطبيعتها، حيث تريدها السلطة الفلسطينية دولة مستقلة تضمّ الضفّة والقدس الشرقية وغزّة، فيما ترى "إسرائيل" وخطة ترامب أنها دولة تحت سيطرة "إسرائيل"، وأنّها تتكون من (كنتونات) معزولة ليست مترابطة إلا بجسور وأنفاق، ودولة منزوعة السيادة والسلاح، ولا تكون القدس عاصمة لها، وبدون

ميناء أو مطار أو معابر، كما يريد ترامب وفريقه من هذه الصيغة التي يسمّونها دولة أن تعترف بيهودية دولة "إسرائيل"؛ أي أن تكون في النتيجة (كنتونات) تخدم الأمن الإسرائيلي، كما توضح ذلك الخريطة الآتية:

خريطة فلسطين التي عرضها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ضمن خطته المزعومة للسلام

عند هذه النقطة نجد أنه ليس لدى صاحب الخطة والجانب الإسرائيلي مشكلة في وصف الكيان الفلسطيني الناشئ بالدولة، بل تتظاهر الخطة بأنها تتنازل للفلسطينيين عندما تسمح لهم بإطلاق اسم (القدس) على بعض الأحياء في جوار مدينة القدس، والشق الواقعي الساخر هنا هو إطلاق اسم القدس على مكان آخر! والحقيقة أنّه لا يمكن إطلاق صفة دولة على هذا الكيان المذكور في الخريطة المعروضة آنفًا؛ لأن هذا الكيان يفتقر إلى السيادة والترابط والحدود، وسيكون تحت السيطرة الإسرائيلية في كل الأحوال. واللافت في هذه الخطّة أيضًا أنّها تطالب هذا الكيان بالاعتراف بيهودية دولة "إسرائيل"، وهذا يشير إلى أن هذا الاعتراف إذا لم يتحقق فإن هناك نقصًا كبيرًا في شرعية هذه الدولة، يصل إلى درجة الانعدام، وبخاصة في محيطها، وسوف يصعب عليها التطبيع مع الدول الإقليمية، والدول الإسلامية عمومًا.

وظهر صدق عدد من التسريبات حول مضمون هذه الخطّة التي بدأ تنفيذ أجزاء منها قبل إعلانها، إذ دارت تكهنات وتسريبات بخصوصها منذ أكثر من 3 سنوات،[4] وتأجل إعلان الخطة أكثر من مرة لعدة أسباب إقليمية، وداخلية في "إسرائيل"، منها عدم القدرة على تشكيل حكومة "إسرائيلية" أكثر من مرة، وقد ذكرنا في دراسة سابقة حول الموضوع في عام 2018 أنه

> **إن ترامب لا يرى في المستوطنات التي أقيمت في الأراضي الفلسطينية عائقًا أمام السلام، ولا يدين بناء المستوطنات، وإن ترامب لن يفرض أيّ حلّ على (إسرائيل)**

مع قدوم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى سدّة الإدارة الأمريكية، كان متوقعًا فرضُ رؤية جديدة لعملية التسوية، وهذا التوقّع عملية تتكرر مع قدوم أيّ رئيس أمريكي جديد، لكن التوقعات كانت أكثر سوداوية في هذه المرة؛ لوجود فريق صهيوني يحيط بالرئيس الأمريكي الجديد، أبرزهم صهره ومستشاره جاريد كوشنير، وممثله الخاص بالمفاوضات جيسون غرينبلات، وكلاهما يهودي يدعم دولة الاحتلال بشدة، ويعارض فرض أيّ ضغوط عليها، وممّا يدلّل على ذلك ما قاله غرينبلات نفسه في إحدى مقابلاته مع راديو الجيش الإسرائيلي بعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية مباشرة: "إن ترامب لا يرى في المستوطنات التي أقيمت في الأراضي الفلسطينية عائقًا أمام السلام، ولا يدين بناء المستوطنات، وإن ترامب لن يفرض أيّ حلّ على (إسرائيل)". [5] وقد ازدادت الثقة بهذه السوداوية في ظل رغبة "إسرائيل" في استغلال الهشاشة الإقليمية الحالية؛ لتكريس مكاسب على الأرض.

مهندسو الصفقة: الشكل والإخراج

ظهر ترامب الذي كان يستعدّ للمحاكمة أمام مجلس الشيوخ الأمريكي بتهمة إساءة استعمال السلطة، في مؤتمر صحفي في 28 يناير/كانون الثاني 2019 لإعلان الخطة، وبجواره رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو المتّهم بالفساد؛ وكان الاثنان يستعدان في هذا الوقت للانتخابات، فظهر بذلك أحد أبعاد الصفقة، وهو وجود مصالح ذاتية لكل من نتنياهو وترامب، حيث يحتاج الأخير إلى دعم اللوبي الصهيوني في الانتخابات الأمريكية، بينما كان نتنياهو يسعى إلى تحقيق إنجاز ما؛ من أجل الحفاظ على عدد كاف من الأصوات للفوز بتشكيل الحكومة. ولعل إعلان الخطة من شخصين خلال مرحلة وُجِّه فيها إليهما تهم بالفساد وإساءة استعمال السلطة يُعدّ إشارة واضحة إلى البعد الأخلاقي الذي يمثّله الأشخاص الذين يقفون وراء الصفقة أو الخطة.[6]

وفضلًا أن وجود نتنياهو بجوار ترامب لم يخدمه كثيرًا في الانتخابات، حيث كان بيني جانتس زعيم حزب "أبيض أزرق" الذي نافس نتنياهو في الانتخابات الإسرائيلية ضمن الحضور، وتجاوز الحضور إلى وعده بأنه سوف يطبق الخطّة، وبخاصة الجانب المتعلق بالمستوطنات منها بشكل أفضل من حزب الليكود ومن نتنياهو، كما أن حزب جانتس حزب "أزرق أبيض" صرّح في بيان حول نتنياهو: إن "رئيس وزراء مثقل حتى عنقه

بتحقيقات الفساد لا يملك أخلاقيًّا أو شعبيًّا أن يتّخذ قرارات في قضايا حيوية بإسرائيل".[7] وفي سياق الحديث عن الأخلاقية فإن جانتس هو صاحب مقولة: "الجيش الإسرائيلي هو أكثر الجيوش أخلاقية في العالم"، رغم كل المجازر والانتهاكات التي نفّذها بحقّ الشعب الفلسطيني! المهم أنّ حضور جانتس مع نتنياهو في إعلان الخطة يهدف إلى إيصال رسالة بأن أقوى طرفين سياسيين في الكيان الإسرائيلي يدعمان خطة ترامب، ولاسيّما قبل الانتخابات، وهذا يعني أن أيّ فائز منهما في الانتخابات فإنه سيتعامل مع خطة ترامب بإيجابية. وبصيغة أخرى يمكن القول: إنهما -بلا شكّ- يدعمان الخطة الإسرائيلية التي أعلنها ترامب، إذ إن كل ما أعلنه ترامب يدور حول محور واحد، يتمثّل في (شرعنة) كل الانتهاكات والادعاءات غير المشروعة التي تدّعيها دولة الاحتلال، ومن ذلك ما يتعلق بالقدس والاستيطان والدولة الفلسطينية.

ولو نظرنا إلى الأشخاص الآخرين الذين يُعدَّون مهندسين لخطة ترامب لوجدناهم جميعًا من محيط ترامب، ومن الذين عملوا معه سابقًا قبل توليه الرئاسة، وهم: جاريد كوشنر صهر الرئيس الأميركي، وديفيد فريدمان السفير الأميركي لدى "إسرائيل" منذ عام 2017، ومحامي ترامب سابقًا في قضايا الإفلاس، والمحامي الأميركي جيسون غرينبلات الممثّل الخاصّ للمفاوضات الدولية. وهؤلاء كلّهم -ولاسيما كوشنر- مشمولون بتحقيقات المحقّق الخاصّ روبرت مولر في موضوعات وقضايا عدة.[8]

ولهذا فإن عملية الإعلان واللغة التي استُعمِلت فيها على أنها الفرصة الأخيرة أمام الفلسطينيين الذين احتُلَّت أراضيهم عام -1984 كانتا استعراضًا يمزج بين عدم احترام القانون الدولي من أشخاص لديهم تهم عدة ومصالح محلية، كما كانتا استعراضًا بعيدًا عن أخلاق الوساطة والرعاية؛ فالصفقة كانت نموذجًا فجًّا، وحملت صفاقة غير مسبوقة في المضمون، وفي الشكل والإخراج، فضلًا عن أنّ الأشخاص الذين يقفون وراءها ملاحَقون أخلاقيًّا.[9]

الصفقة من منظور أوسع: المواقف الإقليمية

بالرغم من كلّ الدعم الأمريكي "لإسرائيل" والتنسيق المكثف بين ترامب وفريقه من جهة، ونتنياهو من جهة أخرى- فإن مواقف الدول الأساسية في الإقليم والمتدخلة في القضية الفلسطينية لها دور مهمّ في تحديد مسار الصفقة، وفي هذا السياق كان للرئيس التركي رجب طيب أردوغان حديث في 28 سبتمبر/ أيلول 2018م ردًّا على سؤال حول موقفه من خطة ترامب، حيث قال أردوغان: "من المهمّ بالنسبة لنا رؤية من سينخرط في هذه الخطة ودورهم فيها، هناك بعض الأقاويل، لكن لا نعلم مدى جديتها"، وأضاف:

"يتعيّن النظر كيف ستتحرك بعض الدول، مثل الإمارات، والسعودية، والبحرين ومصر، وما الموقف الذي سيتّخذه الأردن"، وتابع: "سنواصل القيام بما نراه صوابًا، ومساعدة الأشقاء الفلسطينيين".[10]

وحقيقةً تُعدُّ الدول التي ذكرها الرئيس أردوغان دولًا أساسية تسهم مواقفها في تحديد مسار الصفقة، أمّا مصر والأردن فلارتباطهما بفلسطين والقضية الفلسطينية بحدود مشتركة وتاريخ مشترك، ولهما تأثير مباشر في القضية منذ لحظاتها الأولى، وأمّا دول الخليج وعلى رأسها السعودية والإمارات فلأنها تُعَدّ من مناطق الاستقرار والتأثير القليلة في العالم العربي حاليًّا، وفضلًا عن ذلك فإن خطة ترامب تستهدف تطبيع العلاقات بين "إسرائيل" والدول الخليجية قبل إيجاد حلّ للقضية الفلسطينية والدولة الفلسطينية، وهو عكس الاقتراح الذي قدّمته المبادرة العربية في 2002، ومن ثَمّ فإن هذه الدول حاضرة في القسم غير المعلن من الصفقة، فضلًا عن استخدام قدراتها المالية عبر الابتزاز أو الإغراء أو حتى الضغط، أو ربطها بقضايا أخرى لتمويل المشروعات المرتبطة بالصفقة.

حضر سفراء 3 دول خليجية مراسم إعلان خطة ترامب في البيت الأبيض، هي: الإمارات والبحرين وعُمان، وقد مثّلها السفير الإماراتي يوسف العتيبة، والسفير البحريني عبدالله بن راشد آل خليفة، والسفيرة العُمانية حنينة بنت سلطان المغيرية، ولم يقتصر الأمر على الحضور فقط، بل قدّم الرئيس الأمريكي الشكر للدول الخليجية الثلاث التي حضرت على "مساعدتها الكبيرة" في هذه الخطة على حدّ قوله. كما وصفت سِفارة الإمارات في واشنطن الخطّة بأنها "نقطة انطلاق مهمّة للعودة إلى المفاوضات"، وقد أشاد السفير الإماراتي يوسف العتيبة بالخطّة، وقال: إنّ "دولة الإمارات تقدّر الجهود الأمريكية المستمرة للتوصل إلى اتّفاق سلام فلسطيني- إسرائيلي، مضيفًا أنّ "هذه الخطة هي مبادرة جادّة تتناول العديد من المشاكل التي برزت خلال السنوات الماضية".[11]

وإزاء هذا الحضور من الدول الثلاث هاجم نبيل شعث الممثّل الخاصّ لرئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس حضور دول خليجية إعلان "صفقة القرن"، واصفًا عذر هذه الدول بأنها "أقبح من ذنب"، حيث قال: إن "مشاركة سفراء ثلاث دول عربية في المؤتمر لم يكن مرضيًا.. والحجّة (التي ساقوها) أنهم لم يعلموا بصيغة الصفقة، وحضورهم لا يعني الموافقة عليها"، وأضاف أن "هذه الحجة العربية للأسف الشديد أعطت الولايات المتحدة و(إسرائيل) تصورًا أنّ لديهما دعمًا عربيًّا للصفقة".[12]

كانت ردود فعل السعودية ومصر الأولية تدعو إلى التفاوض تحت الرعاية الأمريكية، فالخارجية السعودية مثلًا أصدرت بيانًا جددت فيه "التأكيد على دعمها لكافة الجهود الرامية للوصول إلى حلّ عادل وشامل للقضية الفلسطينية"، كما أعلنت "تقديرها للجهود التي تقوم

بها إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب لتطوير خطّة سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، حيث قال البيان: "تقدّر المملكة الجهود التي تقوم بها إدارة الرئيس ترمب لتطوير خطة شاملة للسلام بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وتشجّع البدء في مفاوضات مباشرة للسلام بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية، ومعالجة أي خلافات حول أي من جوانب الخطّة من خلال المفاوضات، وذلك من أجل الدفع بعملية السلام قدمًا للوصول إلى اتّفاق يحقّق للشعب الفلسطيني الشقيق حقوقه المشروعة". ولم يتطرق بيان الخارجية السعودية إلى قيام دولة فلسطينية ضمن حدود عام 1967، واكتفى بالدعوة إلى مفاوضات بين الطرفين.[13]

من جهة أخرى وبالرغم من أن قطر والكويت قدّرتا الجهود الأمريكية إلا أنّ البيانات التي صدرت عنهما حملت عبارات تؤكّد على الأقل حقّ إقامة الدولة الفلسطينية في حدود عام 1967، وأنّ "الحل العادل والشامل للقضية الفلسطينية لا يتحقق إلا بالالتزام بقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة، وبالمرجعيات التي استقرّ عليها المجتمع الدولي،

وفي مقدّمتها إقامة دولته المستقلة ذات السيادة في حدود 4 يونيو (حزيران) 1967 وعاصمتها القدس الشرقية".

الرابحون والخاسرون أخلاقيًا

في الحقيقة كان الجهات الرابحة في هذه القضية هي الدول والأطراف التي عبّرت عن رفضها بشكل واضح لهذه الصفقة التي تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية، وعلى رأسها السلطة الفلسطينية التي تمثّل الطرف الرسمي، والشعب الفلسطيني بكلّ مكوناته، حيث عدّت السلطة الفلسطينية الخطة "ترجمة أمريكية لوعد بلفور بلباس أمريكي جديد"، ورفضت أيّ حلول تستثني القدس، وتمنح الاحتلال حقّ رسم حدود دائمة من طرف واحد وبالقوة، وتنتزع 40٪ من الضفة الغربية، واصفة ذلك بأنه "مؤامرة قديمة جديدة لتصفية القضية الفلسطينية برمّتها، ومحاولة لشطب الحقوق الوطنية العادلة والمشروعة للشعب الفلسطيني، وفي مقدّمتها حقّه في تقرير المصير، والعودة، وإقامة دولة فلسطين مستقلة على حدود الرابع من يونيو عام 67 وعاصمتها القدس الشرقية المحتلّة". كما عُقِد اجتماع بين جميع الفصائل الفلسطينية بمقر المقاطعة في رام الله في 29/ 1/ 2020، وعُدّ ذلك ردًّا مهمًّا على صفقة ترامب، حيث قال فيه الرئيس الفلسطيني محمود عباس: "القدس ليست للبيع، والصفقة المؤامرة لن تمرّ"، كما اتّصل رئيس حركة حماس إسماعيل هنية برئيس السلطة محمود عباس، وأكّد دعمه له في رفض صفقة ترامب.[14]

وعلى صعيد المواقف الإقليمية التي وقفت بوضوح مع الحق الأخلاقي للشعب الفلسطيني تميّزت مواقف تركيا وإيران برفض واضح للصفقة، وفي هذا السياق أكّد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أن خطّة ترامب غير مقبولة، وأنها لا تخدم السلام، ولن تجلب الحلّ، مؤكّدًا أنّ ما يُعرَف بصفقة القرن خطة لتجاهل حقوق الفلسطينيين، وإضفاء الشرعية على الاحتلال الإسرائيلي. وفي ذات السياق أيضًا قالت إيران: إن "خطّة العار التي فرضها الأمريكيون على الفلسطينيين هي خيانة العصر ومحكومة بالفشل"، أما الأردن فقد عبّر عن رفض الصفقة قبل صدورها، حيث قال الملك الأردني باختصار شديد: "موقفنا معروف جدًّا: كلا... واضح جدًّا للجميعط. وبعد إعلان الصفقة قال وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي: إن إقامة دولة فلسطينية مستقلة على حدود 1967 وعاصمتها القدس الشرقية هي السبيل الوحيد لتحقيق السلام الشامل والدائم في الشرق الأوسط.[15]

وقد أدت هذه المواقف الواضحة وعلى رأسها الموقف الفلسطيني الرافض للصفقة إلى هدم أحد أساساتها؛ لأنه من دون طرف فلسطيني لن تكون هناك صفقة حتى لو كان هناك تهديد أمريكي، فالتهديد والإجبار والتنفيذ من طرف واحد لن يحقّق كلُّ ذلك مشروعية

الصفقة، كما لو كان هناك طرف فلسطيني على الطاولة. وعلى الجهة الأخرى أدّى الموقف الفلسطيني إلى إحراج عدد من الدول العربية، ولاسيّما الدول التي شاركت في حفل ترامب، أو تلك التي كان موقفها ملتبسًا، كما دعت السلطة الفلسطينية إلى اجتماع طارئ لجامعة الدول العربية.

وقد خلص اجتماع مجلس جامعة الدول العربية الطارئ الذي انعقد يوم السبت (الأول من فبراير/ شباط 2020) في القاهرة، حول خطة السلام الأمريكية إلى "رفض صفقة القرن الأمريكية- الإسرائيلية". وجاء في قرار مجلس الجامعة المنعقد على مستوى وزراء الخارجية أنه قُرِّرَ بالإجماع "رفض صفقة القرن الأمريكية- الإسرائيلية، باعتبار أنها لا تلبّي الحدّ الأدنى من حقوق وطموحات الشعب الفلسطيني، وتخالف مرجعيات عملية السلام المستندة إلى القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة".[16]

وفي الحقيقة كان موقف الجامعة العربية جيدًا في هذا المستوى، بالنظر إلى الضعف الإقليمي، والتشتت العربي، وربما شكّل الموقف في الجامعة العربية غطاء أخلاقيًّا لبعض الدول، وعلى رأسها الدول التي شاركت في احتفال إعلان الصفقة. ولعلّنا لم نبحث في هذه الدراسة أسباب تقارب بعض الدول مع الاحتلال الإسرائيلي إلى درجة التحالف، وتصوير هذا التحالف بوصفه درعًا ضد إيران، أو ضد قوى التغيير في المنطقة، ولعلّ كل هذا لا يعطي هذه الدول الحق في الدوس بطريقة غير أخلاقية على حقوق الشعب الفلسطيني، مع أن موضوع تحقّق مصالح هذه البلدان في العلاقة مع دولة الاحتلال هو موضع شكّ كبير، إذ إن دولة الاحتلال لن تجد أفضل من السير على طريقة ترامب في ابتزاز هذه الدول.

اللياقة الأخلاقية لترامب

في القسم الأخير من هذه البحث سنتناول تطبيقًا عمليًّا للياقة الأخلاقية للرئيس الأمريكي دونالد ترامب في سياق صفقة القرن، وذلك اعتمادًا على المعايير التي وضعها الخبير والعالم الأمريكي في جامعة هارفارد البروفسور جوزيف ناي الذي عُرِف عنه أنّه أوّل من استعمل مصطلح القوّة الناعمة، وله العديد من الكتابات الأكاديمية المميّزة. أجرى ناي في كتابه الأخير "هل الأخلاق مهمّة؟" مقارنة بين الرؤساء الأمريكيين السابقين،[17] وقد ادّعى ناي أن بعضهم كانوا إيجابيين نشطين، مثل روزفلت وترومان وكينيدي وكارتر، وفي المقارنة بين الرؤساء الأمريكان في الأخلاقية في مجال السياسة الخارجية أعطى ناي كلًّا من ترومان وكلينتون أعلى الدرجات. وكان ترامب من الرؤساء الذين حصلوا على تقييم سلبي في ذلك، ومما أسهم في هذه النتيجة اعتماده على الشعبوية القومية، وانسحابه من اتفاقية باريس للمناخ. ولم يتناول ناي سلوك ترامب في صفقة القرن، حيث إن الكتاب

صدر قبل الإعلان عن الصفقة بأيام قليلة، وهذا يعطي هذا البحث إضافة من حيث تناوله هذا الموضوع وفق المعايير الأكاديمية.

اعتمد البروفسور ناي في تقييم اللياقة الأخلاقية للرؤساء على 3 فئات رئيسة من المعايير، هي: النوايا والدوافع (الرؤية الأخلاقية)، والوسائل (القدرة على التمييز بين القوة والاحترام الليبرالي للحقوق والمؤسسات)، والعواقب (النجاح طويل الأجل للمصالح الأمريكية، والحد الأدنى من الضرر للآخرين، والخطاب الأخلاقي الصادق).

ولو نظرنا إلى هذه المعايير أو الفئات في سلوك ترامب من خلال صفقة القرن فسوف نجد أن الهدف الأساسي الظاهر هو إعطاء شرعية لكيان محتلّ وعنصريّ عبر حرمان شعب كامل من أراضيه وحقوقه ومقدّساته، و(شرعنة) الاستيطان الذي عدّته حتى الإدارة الأمريكية السابقة غير شرعي، أما الدافع الذي يراه عدد كبير من المراقبين حاضرًا بقوة فهو حاجة ترامب إلى دعم اليهود الأمريكيين والإنجيليين له في الانتخابات الأميركية القادمة في تشرين الثاني 2020، إضافة إلى حرف الأنظار عن محاكمته في مجلس الشيوخ بناء على اتهامات له من مجلس النواب، ومن ثَمّ فإن نوايا ترامب تفتقر بل وتتناقض مع أي رؤية أخلاقية.[18]

وقد ذكر المفكر الفلسطيني عزمي بشارة في تعقيبه على رؤية ترامب عدة عناصر، منها:

- تعمل هذه الرؤية على تقويض أسس القانون الدولي، وتغليب منطق القوّة، وهي سمة رئيسة غالبة على سياسة الرئيس دونالد ترامب منذ وصوله البيت الأبيض، وفي مناطق عديدة في العالم.

- تتميز صياغة الرؤية بنبرة استعمارية وصائية.

- تتبنّى الرؤيةُ السرديةَ الإسرائيلية حرفيًّا، بما في ذلك الرواية التوراتية من دون التطرّق بكلمة واحدة إلى الرواية الفلسطينية.

- لا يوجد أيّ ذكر للرواية الفلسطينية، ولا حتى الإشارة إلى كلمة النكبة، ولا معاناة الفلسطينيين بسبب الاحتلال. ولا تُذكَر معاناة الفلسطينيين، بحسب عزمي بشارة، إلا بالإشارة إلى أنها ناجمة عن سلوك القيادة الفلسطينية وفسادها، أو "إرهاب" الفلسطينيين. ولا توجد معاناة فلسطينية بسبب "إسرائيل" أو الاحتلال.

- عدم ذِكر كلمة "Occupation" بمعنى احتلال على طول الوثيقة، بل استبدل بها كلمات أخرى، مثل "الانسحاب"، أمّا الحالات التي وردت فيها كلمة "Occupation" فجاءت بمعنى "مهنة".[19]

كما أن الدولة التي وعدَ بها ترامب الفلسطينيين هي(كنتونات) غير متصلة، لا تقبل بها أيّ جهة وطنية في الشعب الفلسطيني، وقد أطلق عليها رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس اسم دولة الجبنة السويسرية.[20] وهنا نجد من خلال الدلائل المذكورة أن هناك انحطاطًا كبيرًا على مستوى الرؤية الأخلاقية في خطة ترامب، من خلال انتهاكها القانون الدولي، وعدم احترام معاناة الشعوب وحقوقها، بل وإنكارها، وعدم اعتبارها.

أما **وسيلة ترامب** للدفع بهذه الخطة فقد كانت بإعلانها ابتداءً من طرف واحد، وبدون موافقة الطرف الفلسطيني، ثم فرضها بالقوة، وبالأمر الواقع على الفلسطينيين، ولم تظهر فيها معالم الليبرالية، أو احترام المؤسسات الدولية التي أصدرت قرارات مسبقة حول الصراع، حيث ذكر ترامب أن الفلسطينيين لن يرغبوا بها في بداية الأمر، لكنه يعتقد أنهم سيوافقون عليها في النهاية، فهي في الواقع جيدة للغاية لهم.[21]

كما استعمل ترامب أسلوب الترغيب المالي من خلال خطّة إنعاش اقتصادي بقيمة 50 مليار دولار؛ لإغراء قيادة السلطة الفلسطينية بقبول خطته، حيث تعامل هو وصهره كوشنير مع قضية تحرّر وطني على أنها مشروع استثماري. وهو أسلوب تحقيري للشعوب، بحيث يتعامل مع الأمر وكأنه قضية تجارية، ولا يتعامل معه بوصفه قضية شعب وأرض منذ آلاف السنين. وعلى مستوى الخطاب يمكن أن نذكر على سبيل المثال أن ترامب استهزأ بطريقة غير أخلاقية بأحد المقدسات لدى الفلسطينيين والمسلمين، عندما اقترح أن تكون "العاصمة الفلسطينية خارج القدس، وأنه لا مانع لديه من أن يُطلِق عليها الفلسطينيون اسم القدس".[22]

وخلال مؤتمر إعلان الصفقة بدا إعلان ترامب عن الخطة بحضور نتنياهو الذي كان يصفّق له منظرًا وقحًا يفاخر بأنه يقف إلى أحد جانبي الصراع بشكل فجّ، على عكس من سبقه من الرؤساء الذين كانوا يحافظون على قليل من الحياء، وقد تفاخر بأنّه أقدم على ما لم يقدم عليه أي رئيس أمريكي سابق فيما يتعلق بدعم "إسرائيل"، في انتهاك الكثير من الحدود، وتحديدًا مع إعلان "صفقة القرن" التي ذمها العديد من المفكرين والمثقفين، وعبّر عنها الدكتور عزمي بشارة بأنّها "صفاقة القرن وليس صفقة القرن"، والصفاقة في اللغة هي الوقاحة، والوقاحة هي قلة الحياء والاجتراء على فعل القبائح، ولا شكّ أنّها تشير إلى معنى انحدار الأخلاق.[23]

> **استعمل ترامب أسلوب الترغيب المالي من خلال خطّة إنعاش اقتصادي بقيمة 50 مليار دولار؛ لإغراء قيادة السلطة الفلسطينية بقبول خطته**

حتى على مستوى **العواقب** فإن ترامب هدّد مسار حلّ الدولتين بالكامل، وهدّد استمرار دور السلطة الفلسطينية الوظيفي المتمثّل بالتنسيق الأمني، كما ضرب بعرض الحائط رؤى بعض الدول العربية والإسلامية، وبتطلعات الشعب الفلسطيني، وهذا يهدّد استقرار عدد من هذه الدول التي لا تستطيع المجازفة بمثل هذه المواقف صراحة، ومن ثَمّ فهذا قد يهدّد موقف الولايات المتحدة نفسها.

وممّا سبق يظهر أن خطة "إسرائيل" التي عرضها ترامب تشير بوضوح إلى افتقار ترامب إلى اللياقة الأخلاقية من حيث الدوافع والوسائل وحتى العواقب، فقد بدأت الخطة بدوافع مشكوك فيها، ولم تحترم الحقوق، ولم تستعمل خطابًا أخلاقيًّا صادقًا، ولا ينطبق هذا على ترامب فحسب، بل يشمل كلّ فريق الصفقة، من كوشنير إلى السفير الأمريكي ديفيد فريدمان الذي قال: "لا يهمّ ما يقوله الفلسطينيون، سنبقي خيار الدولة الفلسطينية مفتوحًا لمدة أربع سنوات". كما ينطبق الأمر على الدول التي دعمت صفقة ترامب حيث خسرت أخلاقيًّا، وكان يكفيها الصمت لو كانت غير قادرة على مواجهة الإدارة الأمريكية، أو كان باستطاعتها القول نقبل بما يقبل به الفلسطينيون.

خاتمة

إنّ الصفقة التي أعلنها ترامب لتصفية القضية الفلسطينية انتهكت المبادئ الأساسية للقانون الدولي، وقد أقدم ترامب وإدارته على عدة تجاوزات، من خلال البدء بتنفيذ الصفقة على الأرض قبل الإعلان عنها ابتداءً، ثم إعلانها من طرف واحد من دون وجود الطرف الفلسطيني، فضلًا عن استعمال التهديد المباشر بقطع الدعم عن السلطة الفلسطينية، أو محاولة الضغط عليها من خلال الحلفاء الإقليميين، كما أن الاستغلال للمصالح الذاتية لكل من ترامب ونتنياهو كان حاضرًا فيها، فضلًا عن التشكيك في الخلفية الأخلاقية السياسية لكل من ترامب ونتنياهو وفريق الصفقة عمومًا.

وكان حضور 3 دول عربية مؤتمر إعلان الصفقة أمرًا مرفوضًا من الفلسطينيين والشعوب العربية والإسلامية، وقد عدّ الفلسطينيون عذر هذه الدول للحضور بأنه أقبح من ذنب، وهذا جعل الدول التي حضرت الإعلان تخسر أخلاقيًّا. ورغم أن جامعة الدول العربية رفضت الصفقة بالإجماع بعد الموقف الفلسطيني الموحّد والمتشدّد ضدّها، ورفض عدد من الدول الإقليمية الأخرى لها (التي ربحت أخلاقيًّا وسياسيًّا على المدى البعيد)، إلا أنّه يُعتقَد أنّ عددًا من الدول في المنطقة التي تتّصل سرًّا بدولة الاحتلال تدعم الصفقة سرًّا، وتحاول تمهيد الطريق لها من جديد في اللحظة المناسبة.

وفي الختام طبّق البحث معايير تقييم اللياقة الأخلاقية للبروفسور جوزيف ناي على سلوك ترامب وإدارته في ملف صفقة القرن من حيث النوايا والدوافع (الرؤية الأخلاقية)، والوسائل (القدرة على التمييز بين القوة والاحترام الليبرالي للحقوق والمؤسسات)، والعواقب (النجاح طويل الأجل للمصالح الأمريكية، والحد الأدنى من الضرر للآخرين، والخطاب الأخلاقي الصادق). وقد وجد البحث أن الرئيس الأمريكي افتقد اللياقة الأخلاقية بشكل كبير في المعايير الثلاثة التي كان الرؤساء الأمريكان السابقون يمنحونها مراعاة أكبر.

الهوامش والمراجع

1. صفقة القرن: ترامب يعلن خطته للسلام ويقول إنها "ربما تكون فرصة أخيرة" للفلسطينيين، بي بي سي، 29/ 1/ 2020، https: / /www.bbc.com /arabic /middleeast-51274586
2. "Peace to Prosperity: A Vision to Improve the Lives of the Palestinian and Israeli People," The White House, 282020/1/, https://www.whitehouse.gov/wp-content/uploads/202001//Peace-to-Prosperity-0120.pdf
3. خطة إدارة ترامب لحلّ الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي: الخطوط العامة ودلالات التوقيت، المركز العربي، تقدير موقف، 3/ 2/ 2020، https: / /www.dohainstitute.org /ar / PoliticalStudies /Pages /Trump-Administration-Plan-for-the-Palestinian-Israeli-Conflict.aspx
4. هذه أهم عناصر "صفقة القرن" والخطوات المتوقعة قبل إعلانها، عربي 21، مايو 2018، (نقلًا عن موقع ديبكا الإسرائيلي)، https: / /bit.ly /39JVWfh
5. محمود الرنتيسي، صفقة القرن والموقف التركي منها، مجلة رؤية تركية، شتاء 2018، السنة 7 العدد 4، ص 151-159.
6. صفقة القرن: اقتلاع ركائز حل الدولتين، مركز الجزيرة للدراسات، 30/ 1/ 2020، https: / / studies.aljazeera.net /ar /article /4553
7. هل تنتهي حياة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو السياسية بعد اتهامه بالرشوة وخيانة الأمانة؟، بي بي سي، 22/ 11/ 2019، https: / /www.bbc.com /arabic /inthepress-50515179
8. للمزيد حول القضايا التي يجري التحقيق بشأنها بخصوص كوشنر: لعنة البيت الأبيض تلاحق عائلة كوشنر، الجزيرة نت، https: / /bit.ly /2yr8hYD
9. عزمي بشارة، ندوة بعنوان: "صفقة القرن" في سياق تاريخي، المركز العربي، الدوحة، 3/ 2/ 2020، https: / /youtu.be /-GHRf07CjhQ
10. أردوغان: مواقف دول المنطقة حيال "صفقة القرن" مهمّة لنا، سبوتنيك، 28 سبتمبر 2018، https: / / bit.ly /2XbzDfI
11. تباين في مواقف دول مجلس التعاون الخليجي من "صفقة القرن"، العربي الجديد، 29/ 1/ 2020، https: / /bit.ly /2UVbUO0
12. السلطة تهاجم "الموقف الخليجي" من "صفقة القرن"، عربي 21، 31/ 1/ 2020، https: / /bit. ly /3aKumj8
13. السعودية تؤكد دعم الجهود للوصول إلى حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية، قناة العربية، 29/ 1/ 2020، https: / /bit.ly /2UJ0b6E

14. عباس ردًّا على ترامب: القدس ليست للبيع والصفقة المؤامرة لن تمرّ، الجزيرة نت، 29/ 1/ 2020، https: / /bit.ly /39OYZD3
15. تأييد ورفض ودعوات للتأنّي.. كيف استقبل العرب والعالم خطة ترامب للسلام؟، الجزيرة نت، https: / /bit.ly /2JF4ycl
16. لمزيد من الاطلاع: نص قرار 8457 الصادر عن الاجتماع الوزاري في دورته غير العادية لمناقشة صفقة القرن، 1/ 2/ 2020، http: / /www.lasportal.org /ar /councils /lascouncil /Document /%D9%84%D8%B3%D8%AC%D9%20%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%B1%s/%D9%85%D8%B9%D8%A9%D8%AC%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D8%84%D8%A9%D8%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D8%B1%D8%A8%D9%20%D8%20%D8%AF%20%D8%BA%20%D8%B9%8A%D8%A9%B9%D8%B1%D8%A8%D9%20pdf.2020-2-1
17. Do Morals Matter? | Behind The Book featuring Joseph Nye, Harvard Kennedy School, 21/1/2020, https://www.youtube.com/watch?v=g0Gy_78O7XQ
JOSEPH S. NYE, Why Morals Matter in Foreign Policy, project-syndicate, 8/1/2020, https://www.project-syndicate.org/commentary/why-morals-matter-01-in-foreign-policy-by-joseph-s-nye-2020
18. محمود الرنتيسي، صفقة القرن واللياقة الأخلاقية لترمب، تلفزيون سوريا، https: / /bit.ly /3aIFjlt
19. عزمي بشارة، ندوة بعنوان: "صفقة القرن" في سياق تاريخي، المركز العربي، الدوحة، 3/2/2020، https://youtu.be/-GHRf07CjhQ
20. أمام مجلس الأمن.. عباس يصف شكل خارطة فلسطين بـ"الجبنة السويسرية"، الحرة، 11/ 2/ 2020، https: / /arbne.ws /3c33AD9
21. رسميًّا.. ترامب يعلن خطة السلام في الشرق الأوسط، سكاي نيوز عربية، 28/ 1/ 2020، / / https: bit.ly /2RcNiiL
22. المرجع السابق.
23. معجم المعاني الجامع، https: / /www.almaany.com /ar /dict /ar-/%D9%85%D8%B5%D8%A7%D9%81%D8%A9/ar/